اردت اتهامي بـ « العصبية » فلا بأس ، عصبية من زاوية انني اريد ان اصرخ في العالم صرخة حاملة صفات لبنانية بعيدة عن مضامينها الفولكلورية او الارابيسكية . لم ارد ان اقع في هذه اللعبات . يصفونني بأنني شاعر ، وكنت معروفا بالمائيات لدرجة انني كلما عرضت على صالة مشروع معرض يطالبونني بمائيات عن السهل والضيعة والجبل ... انما معاناتي الوجودية والانسانية لا تجعلني محصورا ضمن رؤية واحدة ، او اسلوب واحد . احاول ان اضمن في عملي ماضينا وحاضرنا وتطلعاتنا المستقبلية ، ولا اعرف الى اي درجة نجحت بهذا الحلم .

□ هذه « الانا » التي تفتش عليها هل هي من ناحية الاسلوب ام الرؤية ام التفرد التشكيلي ؟

– الاسلوب والتفرد التشكيليين والشيء الذي يميزني واستطيع من خلاله ان اعطي دلالة على ارتباطي بتطلعات الغد والانتفاتة الى الامام. الاشياء التراثية يمكن ان استلهمها دون ان اقف عندها موقف المتحجر . انا اعيش تجربة العصر في اي منطقة في العالم ، واي تجربة تكمل تجربتي ولست بعيدا عنها .

□ لماذا هناك اتجاهات واصوات متعددة في معرضك وبعض لوحاتك هي انت اكثر ؟

– بعد معرض ١٩٨٠ الذي قدمت فيه تجربتي ، بعض النقاد لم يرهموني . كان النقد لي مفيدا وقد يهدم غيري . كان همي ان اعرف مركز القوة عندي . انسان تربى تربية اكاديمية لدرجة انني كنت ناسكا ومخلصا لها . تأثرت باسلوب الاكاديمي الفرنسي « ديفاس » الذي يعد البروفسور في رسم النماذج بالفحم . ومن جهة الزيت ما شدني وتعلقت بهم من الناحية الاكاديمية «سيزان » و « غوغان » و «ماتيس» ... تأثرت فكريا بغوغان . وهنا يمكن ان اعطي جوابا مختصرا في ان حياتي شبيهة بتجربة « غوغان » الذي كان في بداياته موظف في احد مصارف باريس ، ووصل بشعوره الى ان المدينة لا تعطيه الجواب ، فأخذ يفتش عن الفردوس على الارض ، وحلم ان الفردوس موجود في جزر تاهيتي حيث الانسان قريب من الطبيعة او جزء منها وبسيط الى درجة الكمال بالجمال ببساطته وعلاقاته العامة . ترك غوغان مدينة باريس التي هي ام الثقافة ، ويمكن ترك زوجته واطفاله وذهب كناسك الى الجزر ، وعاش بقية حياته . الى اي مدى شاهد الفردوس كجزء من الكمال ؟ هذا يعود الى ما نراه في اعماله التي اعطاها . من هذه الناحية اشعر انني كانسان قريب من سيزان . ومن الناحية الاكاديمية كان استاذي نقولا النمار عام ١٩٦٢ يركز على مقدرتي في رسومات « الديزاين (التصميم) ، وهذا ما جعلني اضاعف الجزء الاكبر من اعمالي على هذه المسألة . من هنا عندي هذه النبرة الصوتية في ضربة الريشة المتينة .

□ الى اي مدى حققت مشاعرك وهواجسك الجمالية ؟

– كل انسان يحلم بأن يقترب من الكمال . وجدت اللون بالخط المستقيم والخط المنحني ، اللذين يبدأ بالالتقاء مع بعضهما ، لانني متعلق بعلم النفس . ومن دلالات هذين الخطين هي ان الخط المستقيم بالشكل الافقي يعني السكون والركود والموت ، والخط المنحني يوصلني للدائرة ، وذاك يوصلنا الى المربع المربع يعني الدائرة والمستقيم ايضا ، وكلاهما يعنيان الكمال .

لا استطيع ان اطرح الدائرة لانني لست كاملا . من هنا طرحت نصف الدائرة . وعبر الشغل المتواصل بدأت ارى ان نصف الدائرة موجود بكل اجزاء الانسان ومع الطبيعة يرافقها احاسيسنا بالظلال . جماليا كانت المرأة هي التي ارى بها الكمال في علم الجمال . ومن هنا حين التفت الى اشياء مشدودة مرة شجر او بيت او ضيعة ارى الى اي درجة تحمل في خطوطها اشكالا مرة المرأة . لاننا بالنهاية نحاول ان نعبر عن الجمال ، طبعا الى جانب موقفنا الانساني والشخصي .

□ هل في لوحات الاسود والابيض والاحمر اكتشفت نفسك اكثر ؟

– كلمة قالها قبل ٥٠٠ سنة ميكل انجلو وهو على فراش الموت حين سئل عن الشيء الذي توصل فيه ... اجاب : ليته يكتب لي عمر اخر لابدأ ان اقول شيئا . فما اقول انا ، كل ما نصل اليه هو خطة في بحر . ولا نصله ايضا . النقطة الثانية التي اود ان اشير اليها هي ان كبار العلماء والفلاسفة في عصرنا الحديث قد اعطوا وصفا دقيقا لعصرنا حين قالوا اننا ما زال نعيش استمرارية الماضي والعصر الجديد لم يطل بعد . كل ما وصلت اليه البشرية هو بداية لك رموز الطبيعة ، لكن ما اقوله انا وصلت اليه هو صبي الكبير الانسان . اما مدى ان اكون تركت شيئا : فهذا الحكم للمستقبل . طالما بي نبض حي فعندي اشياء كثيرة اريد قولها بتفجر وديناميكية ونفس طفل بريء في طرح العمل الفني .

□ ما الذي يربطك بأبناء جيلك واين تختلف عنهم ؟

– من جيلي موسى طيبا وحسين ماضي وحسين بدر الدين وابراهيم مرزوق وامال داغر (ولا اعرف ايرمي) واسادور . مرحلتنا كانت مرحلة انسان يضحي ليدخل في طريق الفن . في هذه الايام الاشياء اسهل. كنا منبوذين وكانت الصعوبات كثيرة . انما ايامها كانت الحركة الفنية تخلق لنا حياة اجتماعية حيوية من حيث التعاون بيننا . وكل واحد فينا شق طريقه باتجاه . اختلف عنهم في اني اخترت الجنوب اللبناني الذي من الصعب فيه على الجنوبي ان يشتري لوحة ، او يعطيني فقي كفنان الا من باب المجاملة . انما اقول انا ، كل ما نصل اليه هو ضمنيا اقرأ في عيونهم انني انسان مسكين ، او مجنون . كل هذا كنت اقرأه . ولكن ما اثار اعجابي في الجنوب هو شعوري بعدية الناس لي . هؤلاء الابرياء الذين لم يستطيعوا ان يتعلموا ، كنت اقرأ في عيونهم بأنني انسان مميز .

□ ما مساوىء او حسنات العيش في الريف للفنان التشكيلي ؟

– بالنسبة لي الريف هو المكان الاكثر احساسا لي بأنني اقترب من مفهوم الكمال . عندما اذهب الى القرى والمناطق البقاعية والحدودية احس بارتباط الناس بالارض . واذا سئمت الحياة نقول : الله راضي علينا . « الحيطان » الملتوية هناك لها جمالياتها الخاصة . والناس شديدو العفوية . تقرأين راحة في تصرفاتهم . بالنسبة لي احلم واعيش في هذه البيئات ، انما كفنان ، الجواب عندكم .

□ لماذا اخترت العيش في القرى ؟

– المدينة من حيث قصة البناء الاجتماعي تزعجني . انها بالنسبة لي اشبه بتوابيت وحواجز بيني وبين المدى . الانسنة لا اراها في المدينة التي هي عبارة عن شبابيك وابواب وديكورات تموت في رغبة القراءة والتعرف . في القرية او الجبل اجد المدى والشعلة العفوية التي لا حدود لها ، وهنا الجمالية العظيمة . في شمال شرق بعلبك بلدة اسمها نحلة وفوقها بالجرد نبعة مار عبود وهي منطقة بعيدة جدا عن ان تلتحق بالمدنية ، الى هذه المنطقة اخن واشعر بالسعادة حين بأني يوما اقيم هناك غرفة متواضعة او مغارة صغيرة ، احولها الى مسكن لي .

□ ما هي المعاناة والقلق اللذين اعترضاك في حياتك الفنية ؟

– اول شيء الحب الذي لم استطع ان اصل الى طرف من اطراف حدوده ان كان خطا ، ولم استطع ان اصل الى نقطة فيه ان كان دائرة . والشيء الثاني هو اننا في لبنان ، مهما ادعينا الحضارة ، لا تزال العصبية القبلية والمافيات بكل ما تحمل من بشاعة ، مسيطرة على وضعنا المدني والحياتي . البلد هنا لا يحتمل اكثر من خمسة او ستة فنانين ، وربما الخطة مرسومة لذلك. وهكذا من الممنوع ان يطلع الجديد. ولا اعتقد ان التقدير وصلني . انا لم اسمح لـ « ست مجتمع » ان تتبناني ، ولم اسمح لجماعتي الطائفية ان تشتري شغلي ونحسن وضعي المادي . ضحيت لدرجة انني مكروه من عائلتي لانني لا اجلب لها المال . انما اخذه لاشتري به لوازم اللوحات . اقول هذه الاشياء دون ان يهمني وضعي المادي ، « وما فارقة معي » ولو قضيت عمري كاستاذ ثانوي . اما ان اسخر لوحتي للتجارة واعيش عمري فقط : فالمسألة ليست واردة . انا لست من الجماعة المهيأة ليكون لها دور تاريخي . بهذا المعنى اضحك عليهم كلهم. وأصرح : « ما فارقة معي » . انا ارسم كمن ينط بالبراري . ارسم لان الحياة نادرة كثيرا وحلوة كثيرا بكل قساوتها . واحب ، وهذا طبعي الوحيد ، ان المس الحياة ولو مت .

□ هل هذا الموقف يخلق لك مشاكل كفنان ، ويجعلك خارج الاضواء ؟ ام هناك اسباب اخرى ؟

– الحقيقة نعم ، لكن هذا لم يفقدني ثقتي ، لان المجالات في البلدان المتمدنة كبيرة ، والدليل على كلامي ان الاميركي « جيمس غوليمس » اخذ مني ٤٣ قطعة فنية عام ١٩٧٤ . وبعدها بثلاث سنوات بعث لي برسالة تقول ان ثلاثة ارباع اعمالي قد بيعت . ولوحتان اخذتها جامعة ولاية كانساس . سعادتي كانت كبيرة . وتعاستي انني ما شفت قرش لحد الان . وهذه تجربة من تجارب كثيرة . ■

مصطفى حيدر: احب ان المس الحياة ولو مت!

تحقيق: بلعسل
رسم كمن يمط في البراري

مصطفى حيدر ، من بعلبك الى الجنوب . هو دائما من البعيد الى البعيد ، ليصل الى ما هو قريب للعيش البسيط والغني والحياة الدافئة . من الاطراف الى الاطراف يحمل ريشته ليجد معادلة للحياة الناقصة في اكتمال الطبيعة وبساطة الريف . بعيد عن الاضواء ليصل القرى بالقرى في بحثه عن الجمال والطمانينة النادرة . يحاول ان يفتش في الريف عما يحلم به وما يريحه ، وفي اللوحة عما يجد ذاته . فهل يصل الى حيث الامان في بحر القلق ؟